

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



محمد العبداني

892.71

A237a A

v.3

الدرر
الدرر

ملحمة شعريّة

مقروء الطبع محفوظة الشاعر

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

صيدا - بيروت

المطبعة العصرية

صيدا

الأهداء

الى التي وقفت جهودها الجبارة ، وقلبها الكبير لرعاية
اولادها ، وزوجها الذي يحمل بين جنبيه قلب طفل ،
رعاية فذة في دنيا المادة هذه .

الى التي كانت أمومتها الرائعة الدافع الأول لنظم هذه
الملحمة الاجتماعية ، الى شطوي الافضل وزوجي الوفية

ربيحت

أهدي ملحمة الامومة :

المقدمة

ولو خيروني بين أمّ وحنّةٍ

تفيضُ بسحرِ الحورِ لاخترتُ لي أمّا

المرأة هي المصدر الأول لوعي رجال الفن ، وتبلغ أوجَ
إيحائها عندما تُصبح أمّا ، ونظرةُ حنانٍ واحدةٍ ترنوبها أمّاً إلى
فلذة كبدها ، هي أشد أثراً من كل ما في الطبيعة من مفاتن ، وما
في الدنيا من جمال :

وقد حفزني تقديس الأمومة إلى نظم هذه الملحمة التي جعلتها
في شكل موشح ، حتى لا يمل القارئ من تكرار حرف رويٍّ
واحد . وحاولت جهدي الاتيان بالالفاظ المألوفة ، وقد شرحت
في النهاية ألفاظاً قد يغلق فهم معانيها على بعض القراء :

أما المقدمة ففي ديواني «اللهيب» ، الجزء الاول من (العدنانيات)

الاسباب التي تحملني على تقديم مؤلفاتي بنفسى ، فمن شاء معرفتها
فليرجع الى « اللهيى » .

وزعمت بعض الصحف والمجلات أن هذه هى الملحمة الاجتماعية
الأولى من نوعها فى الأدب العربى ، وزعم آخرون أنها ، من حيث
طولها ووحدة موضوعها ، الأولى من نوعها فى الأدب العالمى .
فاذا صح ما قبل ، فاننى ليشرفنى أن اكون مخادم الفصحى الأول
فى باب الملاحم الاجتماعية الشّعريّة ، واذا سبقنى أخ شاعر فى هذا
المضمار ، فيسرنى أن أتشبه به ، والتشبه بالكرام فلاح .

أما نصيب الملحمة من نصاعة الديباجة ، ورقة العبارة وسلاستها
والمعاني المبتكرة ، والصّور والأخيلة الجديدة ، فهذا أكل أمره
الى المنصفين من القراء ، والى تاريخ الأدب الذى يضع كل شاعر
فى مكانه الذى يستحقه دون مجاملة ، ولا محاباة ، سواء فى ذلك
عنده الذين يحسنون التطويل والتزمير لأنفسهم فى عالم الدعاية هذا
والذين لا يحسنون .

ولا بد لي فى الختام من شكر الاخ الناشر الكريم السيد
شريف الانصارى على اخراجه هذه الملحمة بجلتها القشبية ، كما

أخرج ديواني « اللهب » . كما أشكر الاستاذ رضوان الشهاب
علي رسومه الرائعة .

والى اللقاء في ديوان « الوجيب » .

محمد العدناني

حلب : كانون الثاني سنة ١٩٥٧

شَهِدَ الْوَالِدَانِ حِينَ اسْتَهَلَّتْ
أَنَّ فِي الْمَنْزِلِ الْهَنَاءَ حَلَّتْ

وَالدَّوَاهِي ، أَشْبَاحُهَا الْحُمْرُ وَلَّتْ
وَأَصَاحَا إِلَى الْحُورِ هَزَارِ
أَطْرَبَ الرُّوضِ فِي الدُّجَى ، وَالنَّهَارِ

وَالْمَنَى أَقْبَلَتْ ، وَسَلَمَى تَجَلَّتْ
فِي سَمَاءِ الْقُلُوبِ نُورًا مُذَابَا

صَاغَهَا اللهُ وَفَقَ مَا تَتَمَنَّى
 فِتْنَةً ، تَخْلُبُ الْعُقُولَ ، وَحُسْنًا
 وَحَدِيثًا ، يَخَالُهُ الْقَلْبُ لِحُنَا
 عَزَفَتْهُ الشَّفَاهُ ، وَالْأَوْتَارُ
 وَحَكَاهُ الشُّرُورُ ، وَالْقِيَارُ
 وَوَعَى الْجَدُولُ الْحَدِيثَ ، فَغَنَّى
 وَطَفَا وَجَدُهُ الدَّفِينِ حَبَابَا



وهبتها الشُّعاعَ شمسُ الأصيلِ
ذهبيًّا ، فجاء دُونَ مَنِيهِ
فتحلَّتْ سلمي بشعرِ جميلِ

قد تدلِّي ، فكان شغلَ العيونِ
كلَّما ماج ، أو مضتْ في جُنُونِ

وتشكَّتْ إلى النَّسيمِ العليلِ
أمرها ، فالتظيُّ هيامًا ، ولا با

سَرَقَ الْخَطْوَ ، مَرَّةً ، فِي الرِّيَاضِ
إِذْ رَأَاهَا كَالشَّمْسِ فِي الْإِيْمَاضِ
فَتَرَوَى مِنْ حُسْبِهَا الْفِيَّاضِ

وَأَجَالَ الْبَنَانَ بَيْنَ الْغَدَائِرِ
عَابِتًا ، وَهُوَ تَائِرُ النَّبْضِ ، حَائِرُ

ثُمَّ أَفْضَى مُوَشَّوْشًا ، وَهُوَ مَاضٍ
بِهَوَاهِ الَّذِي أَطَارَ الصَّوَابَا



وَأَتَاهَا الضُّحَى ، فَأَهْدَى الْجَبِينَا
مُشْرِقًا ، يَكْسِفُ الْيَقِينَ مُبِينَا
مَا تَبَدَّى ، إِلَّا اشْرَأَبَتْ حَنِينَا

مِنْ مُجْمُوعِ الْبَرِيَّةِ الْأَجْيَادُ
فِي ذُحُولٍ ، تَشُدُّهُمْ أَصْفَادُ

مِنْ هَيَامٍ ، قَدْ لَقَّوهُ سَنِينَا
فَوَعَتْهُ ، كَمَا وَعَيْنَا الْكِتَابَا

وَحَبَا الْحَاجِبِينَ قَوْسُ النِّعَامِ
وَنِبَالِ الْأَهْدَابِ رَبُّ الْغَرَامِ
فَغَزَتْ تَبْلُهَا قُلُوبَ الْأَنَامِ

فَأَكْبَتْ عَلَى حَوَاشِي هَوَاهَا
سَاجِدَاتُهَا ، كَأَنَّ إِلَهَا

قَدْ أَتَى فِي إِيَّاهِ أَنْتَى ، تُسَامِي
بِالْجَمَالِ الْخَلْدِ الْأَرْبَابَا



ثُمَّ أَعْطَتْ بِنْتَ الْعَبِيرِ السَّمَاءَ
لَوْنَ عَيْنَيْنِ ، فِيهِمَا مِثْلُ تَشَاءِ
مِنْ فُتُونٍ ، يَغْنُو لَهُ الْإِيحَاءُ

وَوَمِيزٍ ، وَرَقَّةٍ ، وَمَعَانِي
مَا رَأَتْ مِثْلَهَا عُيُونُ الزَّمَانِ

وَذَكَاءٍ ، يُشِيعُ مِنْهُ ضِيَاءُ
كَسَنَى الْحَقُّ ، يُذْهِلُ الْأَلْبَابَا

واصطفاهَا من مُقَلَّةِ الفجرِ طَلُّ
كاللآتي ، ثَنِي الْجَفُونِ يَحُلُّ
مَالَهَا غَيْرُهُ حُسَامٌ يُسَلُّ

ما أَذَالَتْهُ ، مَرَّةً ، فوقَ خَدِّ
ورأى في مَسِيلِهِ غَيْرَ وَرَدِّ

راحَ من كَمِّهِ الْجَمِيلِ يُطِلُّ
بعدَ أنْ غَاظَلَ النَّدى الأَهْدَابَا



واستوى فوقَ وجهها العرينُ
وعليه من الإباء فتونُ
فاذا قال : كنْ شيء ، يكونُ

لازم الخود للهوى ديدُنا
يحرُسُ الياسمين ، والزُّمانا

والأقاحي التي إليها العيونُ
تتبارى ؛ لكي تمبَّ الرضابا

وأتى الخدَّ في الضُّحَى الجَلَنَارُ
واهْبِغاً لَوْنَهُ ، فَأَجَتْ نَارُ
فَوْقَ صَحْنِ الخَدَّيْنِ ، والحُسْنُ دَارُ

لَيْسَ فِيهَا سِوَى المَلِيكَةِ سَلْمَى
فِي جُفُونِ القُلُوبِ تَخْفُقُ حُلْمَا

وَسُوَيْدَاؤُهَا بِهَا تَيَّارُ
لَمْ يُشَاهِدْ لَهُ الْجَوَى أَضْرَابَا



وَدَنَا الْفَجْرُ حَامِلًا لِلْعَنْدَمِ
يَتَهَادَى ، وَشَقَّ مِنْ سُلْحَى الْفَمِ
ثُمَّ حَيًّا بِقُبْلَةٍ ، ثُمَّ تَقْتَمُّ

وَتَوَارَى كَالطَّيْفِ بَيْنَ الْجَمَائِلِ
شَارِحًا لَا عِجَّ الْهُوَى لِلْجَدَاوِلِ

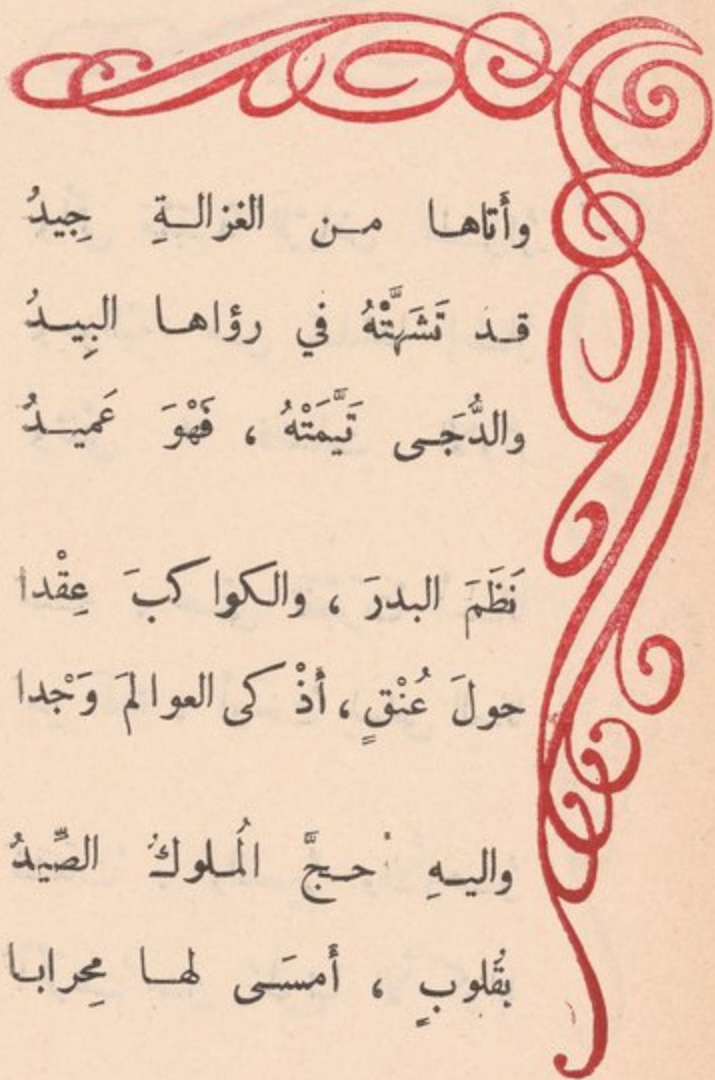
بُلُحُونٍ ، كَعَنْدَايِبٍ تَرَنَّمُ
وَامْتَطَى صَهْوَةَ الرِّيحِ رِكَابَا

ثُمَّ وَافَى أُخْتَ الْمَهَا سَجْبَانُ
 وَاصْطَفَاهَا مِنْ الْخَطِيبِ اللِّسَانُ
 فَقَدَا مِنْ عَمِيدِ سَلَمَى الْبَيَانُ
 وَإِلَيْهَا حَقَّتْ وَفُودُ الْمَنَابِرُ
 عَاقِدَاتٍ عَلَى هَوَاهَا الْخَنَاصِرُ
 مَا ارْتَقَتْ مِنْبَرًا ، وَظَلَّ جَنَانُ
 لَمْ يُصَفَّقْ فِي كَهْفِهِ إِعْجَابًا



وَأَتَى مَعْبَدُ الرِّيَاضِ الْهَزَارُ
وَحَوَالِيهِ مِنْ شَذَاها إِطَارُ
وَتَغْنَى ، فَانْسَابَتِ الْأَوْتَارُ

مِنْهُ ، حَتَّى تَفْجَرَتْ أَلْحَانَا
مِنْ لَهَاةٍ ، أُرَخْتُ لِسَامِي الْعِنَانَا
فَشَدَّتْ ، وَالنَّسِيمُ وَالْأَزْهَارُ
أُتْرَعَتْ مِنْ لُحُونِهَا الْأَكْوَابَا



وَأَتَاهَا مِنْ الْغَزَالَةِ جِيدُ
قَدْ تَشَهَّتَهُ فِي رَوَاهَا الْبَيْدُ
وَالدُّجَى تَيْمَتُهُ ، فَهُوَ عَمِيدُ

نَظَمَ الْبَدْرَ ، وَالْكَوَاكِبَ عِقْدًا
حَوْلَ عُنُقٍ ، أَذْكَى الْعَوَالِمَ وَجَدًا

وَالِيهِ حُجَّ الْمُلُوكِ الصَّيْدُ
بِقُلُوبٍ ، أَمْسَى لَهَا مِحْرَابًا





واجتبي الزَّبَقُ الطَّرِيُّ الذَّرَاعَا

فَسَرَى الطَّيْبُ فِي النَفُوسِ ، وَضَاعَا

وَقُلُوبُ الْأَنَامِ ، بَاتَتْ مَشَاعَا

فِي يَدَيْهَا وَتَقَلَّتْهَا الْأَنَامِلُ

كَيْفَ شَاءَتْ ، فَلَفَعَتْ بَغْلَائِلُ

مِنْ غَرَامٍ ، شَرَى الْبَرَايَا وَبَاعَا

وَعَدَتْ سُوقَهُ تَعِيجُ اصْطِغَابَا

وَعَلَا عَرْشَ صَدْرِهَا الرُّمَّانُ
مُشْرِئًا ، وَلِلْهَوَى مِهْرَجَانُ
كَلَّمَا اهْتَزَّ ، طَاشَتْ الْأَذْهَانُ
وَأَصَابَ الْوَرَى جَمِيعًا ذَهُولُ
وَحْنِينُ الْأَرْوَاحِ ، بَاتَ يَسِيلُ
لُوعَةً ، وَالْكَهُولُ وَالشُّبَّانُ
يَمْتَهُمُ بِصَدْرِهَا خَالِبًا



أَيُّ سِحْرِ ، مَا يَنْ نَهْدٍ وَنَهْدٍ
كَامِنٍ ، يُشْرِبُ النَّهْيَ مِنْ وَرْدٍ
فَاضَ مِنْهُ الْإِلْهَامُ ، وَالْحُسْنَ يَهْدِي

مَنْ بِهِ آمَنُوا سَبِيلَ الْبَقَاءِ
فِي جَنَّاتٍ ، تَضَمَّتْ بِالْهَنَاءِ

وُخْلُوْدٍ عَلَى أَرَائِكَ سَعْدٍ
هَدَّهَتْهَا أَيْدِي الْمُنَى أَحْقَابَا

ليسَ في وَسْعِ السُّنِّ الشعراءَ
وصفُ ما في التَّهْدِينِ من كَهْرَبَاءِ
فلما مَارِجَانِ مَن إِغْرَاءِ

وَفُتُونِ يَكْوِي فَوَادَ العَمِيدِ
وهما ، في الْجَمَالِ ، يَتُ الْقَصِيدِ

ما رَأَى رِعْشَةَ الأَيِّينِ راءِ
قَطُّ إِلَّا من الصَّبَابَةِ ذَابَا



ليس في طوقِ مقولٍ ، وطُروسِ
شرح ما في التَّهْدِينِ من مَغْطِيسِ
زودا كلَّ خافقٍ بدروسِ

لَخَصَّتْ كُلَّ أَضْرَبِ الْجَازِيَّةِ
وأذاعتْ أسرارَهَا التَّهْدِيَّةِ

فاستقادتْ لها جميعُ الفُؤوسِ
وتداعتْ الى حِماها انجذابا

ليس في الكونِ مثلُ وحي النُّهودِ
فَهِيَ لِلْمُتَمِينِ سِرُّ الخلودِ
قد فدوها بطارفٍ ، وتلبدِ

وشبابٍ ، هوى العيونِ ، وشعرِ
وهزارٍ ، غنى لِمَاءٍ وزهرِ

فوقَ غُصْنٍ ، غُضَّ الصَّبَا ، أُمْلودِ
عانقته أيدي الرِّيحِ طرابا



وَحَبَّاهَا الْقَوَامَ غُصْنُ الْبَانِ
فَتَنَّتْ فِي الرَّوْضِ كَالْخَيْرَانِ
أَيْنَ مِنْهَا قَامَتُ حُورِ الْجَنَانِ؟

غَارَ مِنْ كَدْنٍ قَدْهَا السَّمْهَرِي
عِنْدَمَا حَطَّ فَوْقَهَا قُمْرِي

مُنْشِدًا، فِي الصَّبَاحِ، أَشْجَى الْأَغَانِي
إِذْ رَأَى الْغُصْنَ يَحْمِلُ الْعُنَابَ

لم تكنْ غَيْرَ بِنْتِ سَبْعٍ وَعَشْرٍ
يَوْمَ سَارَ اسْمُهَا عَلَى كُلِّ نَقَرٍ
وَعَدَا شُغْلَ كُلِّ كُوخٍ وَقَصْرِ

وَحَدِيثِ الشُّيُوخِ ، وَالشُّبَّانِ
وَحِرَاءِ الْقَصِيدِ ، وَالْأَحْمَانِ

ظَلَمُوهَا ، إِذْ شَبَّهُوهَا بِدُرٍ
يُخْسَفُ الْبَدْرُ حِينَ تَنْضُو النِّقَابَا



ليسَ للبدرِ ثغرُها البسَّامُ
ومُحَيَّا ، في مُقلتيهِ كلامُ
وحديثٌ ، تهفو له الأتغامُ

وشذا روضها ، وخفّة رُوحِ
وفُتُونٍ ، روائعِ الشَّعرِ يُوحِي

ولِحَاطٌ ، تغار منها المَدَامُ
حينَ ثُوري نَمَى الوري إلهابا

حَوَّمتْ كالفرّاشِ كُلُّ القُلُوبِ
 حَوْلَ بُرْكانِ حُسْنِها المَشْبُوبِ
 فاكتوتْ بالجوى، وجَمَرِ الخطوبِ

يَوْمَ راحَتِ أحلامُها - تتوارى
 في سَرابِ الأَسى ، فتُلْفِي النّهارا

دامساً ، مثلَ غَيْبِ المَكْرُوبِ
 أو خَصِيبِ الآمالِ ، أُمِسَتْ يابا



لم يَفْزَ بالفؤادِ غيرُ طَريفِ
حُلْمِ الحُسْنِ ، والمِزاجِ اللطيفِ
فَتَنَ الخُودَ بالقَوامِ الرَّهيفِ

أريجِ الصِّبَا ؛ وَوَهجِ الذِّكَا
ارتجالِ الأَمْجادِ ، في الهَيْجاءِ

وبُظْلٍ ، مثلِ النَّسيمِ خَفِيفِ
سَماحٍ ، فيه يُباري السَّحابا

سَلَّمَتْهُ مِنْ قَلْبِهَا الشُّكَّانَا
فَحَبَّاهُ بِحَرْمِ الْهَيْامِ الْأَمَانَا
فَانْتَحَى بِالْحَبِيبَةِ الشُّطَّانَا

بَشْرَاعٍ ، مَا كَانَ إِلَّا شَغَافَا
رَكِبَ الْمَوْجَ ، مِثْلَهُ ، وَجَّافَا

لَمْ يَشَاهِدْ يَمُّ الْهَوَى رُبَّانَا
كَطَرِيفٍ ، وَلَا كَسَلَمَى كَغَابَا



مُزِجَ الحُسْنَ بِالْحَجَى اللِّسَانِ
مِثْلَ مَاءٍ ، مَزَجَتْهُ بِالرَّاحِ
فَأَقِيْمَتْ مَعَالِمُ الْاَفْرَاحِ

طَيَّ قَلْبَيْنِ ، فِي جِنَانِ الْأُمِّ-أَتِي
رَتَعَا ، حِينَ نَامَ طَرْفُ الزَّمَانِ

عَنْهَا ، وَارْتَقَى الْهَوَى بِجَنَاحِ
خَلْفَ السُّحْبِ تَحْتَهُ وَالْهَضَابَا

أَيْنَعَ الْحُبُّ فِي رِياضِ الْغَرَامِ
 فزها الْقَصْرُ بِالْوَلِيدِ عَصَامِ
 حُلْمِ الْحَسَنِ ، وَالْعَلَا ، وَالسَّلَامِ
 مَلَأَ الْبَيْتَ ، وَالْقُلُوبَ صُدَاحًا
 وَأُيِّحَ النَّفُوسَ ، وَالْأَرْوَاحَ
 فَقَدَا رُقَصَهَا عَلَى الْأَتْقَامِ
 لِنُضْرُوبٍ مِنْ الْهَوَى مِنْجَابًا



لَخَصَّ السَّعْدَ فِي ابْتِسَامَةِ طِفْلٍ
تَوَجَّهَ الْمَنَى بِإِكْلِيلِ دَلٍّ
رَاحَ ، مَا شَاءَ ، بِإِلْإِشَارَةِ يُمْلِي

فِيلَبِّي الرِّغَائِبَ الْأَبْوَانَ
لِلوَحِيدِ الْحَبِيبِ ، دُونَ تَوَانٍ

هَلْ هُمَا فِي دُنْيَا الْوَرَى غَيْرِ ظِلٍّ
لِعَصَامٍ ، يُلَازِمَانِ الْبَابَا ؟

دَثْرَاهُ تَدَلُّهَا بِالشَّغَافِ
وَأَحْلَاهُ حَبَّةَ الزَّجَافِ
وَأَقْلَاهُ عَصَامَ نَحْوِ الضَّفَافِ

حِينَ شَقَّ نَهْرَ الْحَيَاةِ الْعَتِيَّ
بِجَهَادٍ فَدَيٍّ ، وَأَنْفٍ حَمِيٍّ

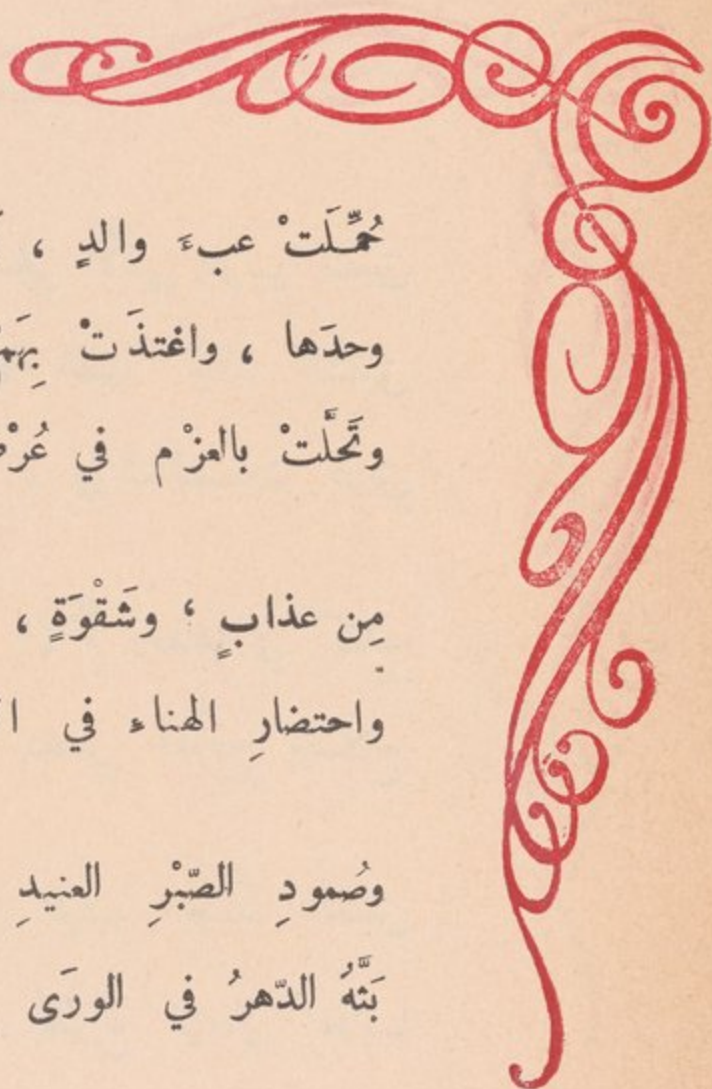
ثُمَّ أَلْوَى الزَّمَانَ بِالْمَجْدَافِ
وَطَوَى الْمَوْتَ مِنْ طَرِيفِ الشَّبَابِ



لفَّ سلمى الأسي بثوبٍ صفيقٍ
وبكاها الصبا بُكاءَ الشَّقِيقِ
بفؤادٍ ، في النائباتِ غريقِ

باتتِ الأمُّ وحدَها في كفاحٍ
مَعَ دهرٍ مُدَجَّجٍ بالسَّلاحِ

وعصامُ اليتيمُ جدُّ خَلِيقِ
بأبٍ ، يَصْرَعُ الزَّمانَ غَلابا



مَحَلَّتْ عِبَاءَ وَالِدٍ ، بَعْدَ أُمٍّ
وَحَدَّهَا ، وَاغْتَذَتْ بِهِمْ وَغَمَّ
وَمَحَلَّتْ بِالْعَزْمِ فِي عُرْضِ يَمٍّ

مِنْ عَذَابٍ ، وَشَقَوَةٍ ، وَجِهَادٍ
وَاحْتِضَارِ الْهَنَاءِ فِي الْأَصْفَادِ

وَصُومٍ الصَّبْرِ الْعَنِيدِ لظُلْمِ
بَتَّةِ الدَّهْرِ فِي الْوَرَى إِرْهَابَا



زَادَ ثَوْبُ الْحِدَادِ سَلَمَى جَمَالَا
وَكَسَاهَا الْحُزْنُ الدَّفِينُ جَلَالَا
فَأَشَعَّتْ أُخْتُ الصَّبَا آمَالَا

كَالدَّرَارِيِّ فِي سَمَاءِ قُلُوبِ
لَمْ تُرَدِّدْ سِوَى اسْمِهَا فِي الْوَجِيبِ

وَهِيَ لَمْ تُلَقِ لِلْمَحْبِينَ بِأَلَا
وَأَشَاحَتْ ، فَرَاغَتْ الْخُطَابَا

فتواروا عن الحمى ، غير آس
ورد الحب مرهف الإحساس
شفه الوجد ، وهو عات قاس

فأتاها بذلة ، وخشوع
وإباء ، مُحطَّم ، وخضوع

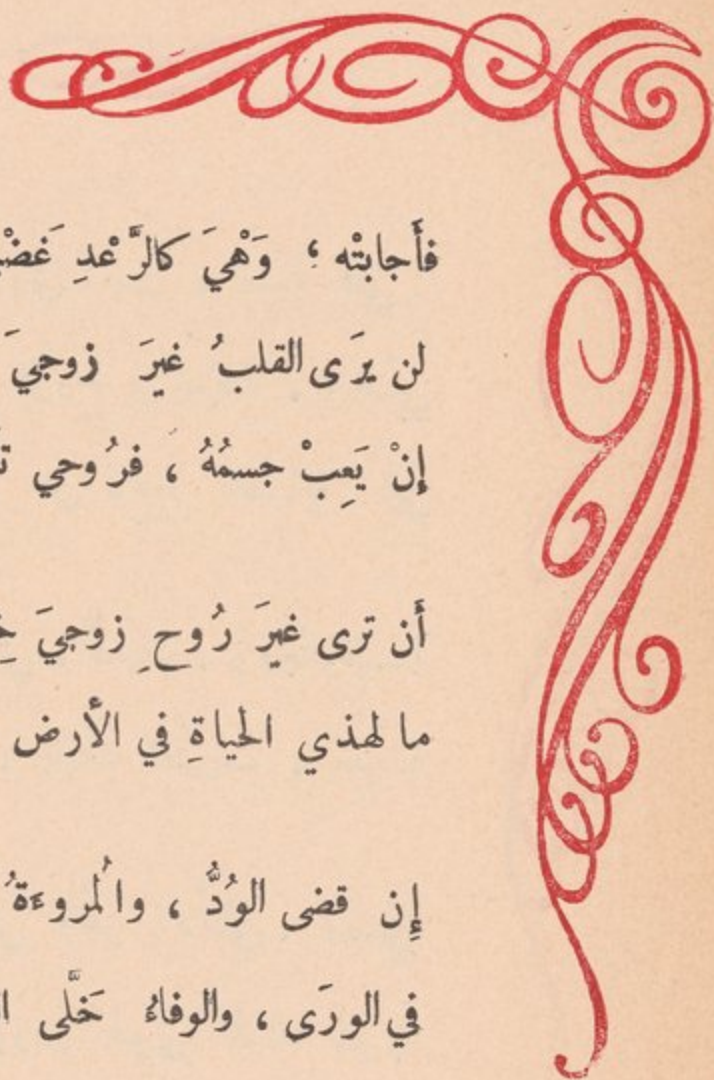
ناسياً أنه أجل نطاسي
بلغته المباحض الآرأبا



قال: إِنِّي أَتَيْتُ ، مُنِيَّةً قَلْبِي !
أَضَعُ الرُّوحَ فِي يَدَيْكَ ، وَحُبِّي
طَاشَ مِنْ لَاعِجِ الصَّبَابَةِ لُبِّي

فَاقْبَلْنِي ، أَفْدِيكَ ، زَوْجًا وَفِيًّا
وَأَبَا ، بَابَكَ الظَّرِيفِ ، حَفِيًّا

ثُمَّ لِي زُهْرَ الْأَمَانِي ، وَصَبِّي
فِي كُؤُوسِ الْهُوَى الْهَنَاءِ شَرَابَا



فأجابته ؛ وَهِيَ كَالرَّعْدِ غَضْبَى ؛

لَنْ يَرَى الْقَلْبُ غَيْرَ زَوْجِي رَبَا

إِنْ يَعْْبُ جَسْمُهُ ، فَرُوحِي تَأْبَى

أَنْ تَرَى غَيْرَ رُوحِ زَوْجِي خَدْنَا

مَا لَهْذِي الْحَيَاةِ فِي الْأَرْضِ مَعْنَى

إِنْ قَضَى الْوُدُّ ، وَالْمُرُوءَةُ نَحْبَا

فِي الْوَرَى ، وَالْوَفَاءُ خَلَّى الرَّحَابَا



ليس في القلب غير طيف طريف
في ربيعي أصدونه ، وخريفي
وفاء الفؤاد غير كيف

يُبصرُ المكرمات ، والإخلاصا
في قرين ، قد حطّم الأقصا

رُوحه ، وانتحى جنان اللطيف
يَجْتَنِي السَّعد ، والهناء ثوابا

عَادَ قَلْبُ الْآسِي بِخُفْيٍ حَنِينٍ
وَهَمَى الدَّمْعُ مِنْ جَنَانٍ ، وَعَيْنِ
آبَ مِنْ صَفْقَةِ الْهَيَامِ بِدَيْنٍ ،

أَمَلٍ غَارِبٍ ، وَلُبٍّ سَلِيبٍ
سُهَادٍ مُبَرَّحٍ ؛ وَنَحِيبٍ

وَبَلَايَا ، خَطَّتْ عَلَى الْوَجْتَيْنِ
شَا حَبَ الْيَأْسِ ، وَالضَّنَى ، وَالْعَذَابَا

فازت الخوذ في امتحانِ الوفاء
ونجت من مزالقِ الاغراء
وجاح الغريزة الحمراء

وقفت وحدها تجاليد دهرها
روّع الناس بالمصائب تترى

ومشى حكمه مع الأهواء
حيث شاءت ، وكم أساء وحايى

وَقَفَتْ نَفْسَهَا عَلَى ابْنٍ وَحِيدٍ
 لَقَّاهُ الْيَتِيمُ بِالْمُحْمُومِ السُّودِ
 وَسَقَاهُ الزَّمَانُ كَأْسَ الْجُحُودِ
 فَانْبَرَتْ أُمُّهُ لِحَرْبِ الزَّمَانِ
 وَاقْتَنَصَ الْمُنَى مِنَ الْحَدَثَانِ
 وَاجْتِيَا حِزْنَ الْحَزَنِ الرَّهِيْبِ الْعَنِيدِ
 بَعْدَ مَا شَدَّ فِي الْحِمَى الْأَطْنَابَا

زَحَزَحَتْ عَنْهُ يَأْسَهُ ، وَشَقَاءَهُ
وَأَعَادَتْ إِلَى الْحَيَا الْوَضَاءَهُ
فَقَضَى الْبُؤْسُ تَارِكًا أَشْلَاءَهُ

فَوْقَ صَدْرِ الْهَيْجَاءِ ، تَرَضَّعَ نَهْدًا
أُتْرَعَتْهُ الْهَزِيمَةُ الْبِكْرُ حَقْدًا

وَأَظَلَّتْ وَحِيدَ سَلَمَى الْهِنَاءَهُ
وَهَجِيرُ الْأَلَامِ أَوْدَى اكْتِرَابًا

لَمَّتِ السَّعْدَ عَنُودَ وَاقْتَدَارَا
 أُمُّهُ ، حِينَ أَصَمَّتِ الْأَقْدَارَا
 ثُمَّ حَاكَتْ لَهُ النَّعِيمَ شِعَارَا
 وَأَبَاخَتْهُ رُوحَهَا ، وَقُورَا
 وَتَنَاسَتْ فُتُونَهَا ، وَصَبَاها
 وَسَقَتْهُ الْخَنَانَ لَيْلَ نَهَارَا
 وَلَطَى الْعَزْمَ أَضْرَمَتْهَا التَّهَابَا

فَرَأَى النَّاسُ فِي عَصَامٍ سِرَاجًا
وَبَدَأَ نُورٌ لَبَّهِ وَهَاجًا
وَسَمَا فَوْقَ رَأْسِهِ الْمَجْدُ تَاجًا
وَعَدَا، إِذْ وَشَى الشَّبَابُ الْإِزَارَا
خَفَقَةَ الْحُلَمِ فِي جُفُونِ الْعَذَارَى
وَطَفَى بِحُرِّ جُودِهِ أُمُوجَا
غَمَرَتْهَا دُنْيَا الْوَرَى تَرْحَابَا

شاقه الطَّبُّ ، منذُ كانَ صبيّا

فَعَدَا فِيهِ ، حينَ شَبَّ ، نبيّا

ما رأى للناسُ مثلهُ عبقرِيّا

مَسَّ بِالْمِشْرِطِ العجيبِ عليّلا

كاد يقضي ، إلّا أَتَى المستحيلا

والضعيفُ المنهوكُ ، عادَ قويا

يُنْشِبُ الظُّفَرَ في الرَّدَى ، والتَّابَا

طارَ صَيْتُ الْعَلَامَةِ الْجِرَاحِ
حِينَ أَمْسَى مُنَجِّي الْأَرْوَاحِ
رَفَعَتْهُ الْأَمَالُ كَالْمَصْبَاحِ

فِي دُجَى الْيَأْسِ، يَكْشِفُ الدَّيْجُورَا
فَتَشِعُّ النُّفُوسُ طُرّاً نُورَا

وَيُمِدُّ الْقُلُوبَ بِالْأَفْرَاحِ
بَعْدَ أَنْ يَخْشُدَ الْهَنَاءُ الْبَابَا

لَمْ تُرَدِّدْ ذِكْرَ الْوَحِيدِ الشَّفَاهُ
قَطُّ ، إِلَّا فِي الْأُمِّ رَنَّ صَدَاهُ
مَالَهَا فِي دُنَى الْأَنَامِ سِوَاهُ

مَا أَذَاعَ اسْمُهُ الْفَخَارَ امْتِنَانَا
لَسَدَاهُ ، إِلَّا غَدَتِ آذَانَا

تَتَلَقَّى مَا تَسْرُدُ الْإِفْوَاهُ
مِنْ نَمَاهُ ، يُعَلِّي عَلَيْهِ الْقَبَابَا

سَلَخَ الدَّهْرَ حِقْبَةً ، وَهُوَ غَافِلٌ
عَنْ هَزَارَيْنِ ، غَرْدًا لِلْخُمَائِلِ
نَعَمَاتٍ ، قَدْ سَاجَلَتْهَا الْمُدَاوِلُ

فِي أَنْشِيدَةٍ مِنْ كَلَامَةِ الْمَاءِ
أَوْقَعْتَهُنَّ فِرْقَةً الْحَصْبَاءِ

ثُمَّ غَارَتْ بِلَابِلٌ ، وَعَنَادِلُ
فَشَدَتْ ، وَالتَّسِيمُ حَاكِي الرَّبَابَا

وَصَحَا بَعْدَهَا الزَّمانُ الفَادرُ
مِنْ سُبَاتٍ عَلَى سَرِيرِ المَجازِرِ
فَرَأَى فِي الرِّياضِ ساقِي البَشائرِ

مُفِعِّمًا أَكْوَسَ اُلْمَنَى ، وَالْهَناءِ
لِعِصامٍ ، وَأُمِّهِ الْفَرَّاءِ

وَرَأَى فِي يَدِ الْأَرَاكِ مَزَاهِرُ
مِنْ كِهاها كَحْنُ الْهَناءِ انسابا

قد بدا للزَّمانِ ذاكَ الأمانُ
يَتَعَنَّى ، وظله فينسانُ
فوقَ عُشِّ المني ، فجُنَّ الزَّمانُ

وانبرى يُطْلِقُ المصائبَ تترى
فَجَلَا الأَمْنُ ، والأسى الجَهْمُ قَرَا

في ابنِ جُبِّ ، لم يَعْرِفِ التَّخْنازُ
مِثْلَهُ ، أوردتهُ سلمى السَّرابا

أَقْبَلَتْ فِي النَّفَائِلِ الْحُمْرِ حُمًى
تَنْفُتُ الرُّغْبَ فِي الْجَوَارِحِ سُتًى
وَتَذُكُّ الْأَجْسَادَ لِحْمًا ، وَعَظْمًا

أَخَذَتْ مِنْ جَهَنَّمَ الْأَنْفَاسَا
ثُمَّ رَاحَتْ تُمَوِّنُ الْأَرْوَاسَا

وَاسْتَعَاذَتْ مِنْهَا الْمَفْدَاةُ لَمَّا
أَوْهَنْتْ عَزَمَ نَجْلِهَا إِنْصَابَا

راحَ منها على اللَّطَى يَتَقَلَّبُ
والضنى في فؤاده يَتَلَهَّبُ
وعليه جَمَرُ المَنُونِ تَالِبُ

صَوَّحَ العُودُ ، وَهوَ غَضُّ رَطِيبُ
وروى للدهورِ دَمْعَ صَيِّبُ

قِصَّةُ الداءِ ، عَدمًا جَاءَ يَنْهَبُ
رُوحَ آسٍ ، شَفَتْ يَدَاهُ الوِصَابَا

يا لائِمَ غريقةٍ في دموعٍ
ذرفتْها من قلبها المصدوعِ
شهدَ الحبُّ أنَّها كالشموعِ

ذوّبتْ نفسها ارتياحاً ، وحُزناً
وأصارتْ جارةَ الأضالعِ جَفْناً

تَتَبَارَى دماؤُهُ في الهموعِ
كلّما الكَرْبُ أوردَ النُشَابَا

شَفَّهَا الرُّعْبُ ، حِينَ أَلْقَى الْأُسَاةَ
فِي صِرَاعِ الْحُمَى السَّلَاحِ ، وَبَاتُوا
نَهَبَ يَأْسٍ ، وَجَفَّتِ الْكَلِمَاتُ

فِي حُلُوقِ الْأَلَى غَدَوًا أَعْلَامًا
فِي عِلَاجِ الْأَدْوَاءِ ، تُرْدِي الْأَنَامَا

وَتَبَدَّتْ لِأُمِّهِ صَفَحَاتُ
فِي وَجْهِهِ الْأُسَاةِ ، تَرْوِي الْمُصَابَا

جُنَّ في أُمِّهِ الرُّومِ الفؤادُ
وَعَزَاها ، لَيْلَ الخطوبِ ، الشُّهادِ
أَخْفَقَ الدَّمْعُ ، وَهُوَ ثَرٌّ جَوادِ

في جَلَاءِ الأَسَى ، وَغَسَلَ القَنُوطِ
جَائِئًا في الجَنَانِ ، كَالأَخْطَبُوطِ

إِنَّمَا الحُزْنُ للنفوسِ زِنَادُ
يُضْرِمُ اليأسَ عَاتِيًا ، صَخَابَا

رَكَتْ - كَهْفَتَاهُ - قُرْبَ سِرِيرِهِ
تَتَلَوِي ، وَرَوْحَهَا مِنْ مُصِيرِهِ
فِي أَتُونِ ، يَكَادُ صَوْتُ صَفِيرِهِ

يُورِثُ النَّدْبَةَ الصَّبُورَ الْجُنُونَا
وَيَصُبُّ الرُّغْبَ الْمَمِيتَ عُيُونَا

وَعِصَامٌ ، مِنْ دَائِهِ ، فِي مَرِيرِهِ
وَعَنِ الْوَعْيِ قَدْ أَطَالَ الْغِيَابَا

وحكى قلبُ أمِّه في الوجيبِ
قلبه ، ونهى في دُحولٍ عجيبِ
بات في بُضه ، كقلبِ الحبيبِ

يُسرع الخفقَ مِنه ، دُونَ أَنْ
ويحاكِيه ، إن هفا بتأنٍ

وتَلاقى الأنفاسَ وَسَطَ لهيبِ
مِنْ حَنانٍ في الأمِّ ، كان عُجَاباً

أَذْهَلَ الْخَطْبُ كُوبَ سَلْمَى فَحَارَا
كَيْفَ يُقْصِي دَاءَ ابْنِهَا الْجَبَّارَا
لَوْ رَأَى خَفَقَةَ السَّنَى ، لَاسْتَجَارَا

طَاشَ مِمَّا دَهَى ، وَأُمُّ عِصَامِ
عَمَدَتْ ، ضَلَّةً ، إِلَى الْأَوْهَامِ

قَمَضَتْ بِالرُّقَى ، ثَقِيلُ الْعِنَارَا
وَالْتَّعَاوَيْدِ ، تَتَّقِي مَا نَابَا

أُخْفِقَ الْوَهْمُ ، وَالشَّقَاءُ تَلَبَّدَ
 فِي سَمَاءِ الْأُمِّ الْخُنُونِ ، وَعَرَبَدَ
 وَخِضَمُّ الْأَلَامِ أَرْغَى ، وَأَزْبَدَ
 وَطَوَى مَوْجُهُ الْغَضُوبُ بَقَايَا
 أَمَلٍ ، كَانَ وَامِضًا فِي الْحَنَائِيَا
 فَمَضَى الصَّبْرُ مُبْرِقًا ، ثُمَّ أَرَعَدَ
 وَتَشَطَّى مِنْ يَأْسِهِ آرَابَا

لَا حَ يَوْمًا لَهَا بَصِيصٌ رَجَاءٌ
فِي عَجُوزٍ ، عَرِيقَةٍ فِي الذَّكَاءِ
سَلَخَتْ عُومَرَهَا مَعَ الْحِكْمَاءِ

جَاءَتْ الْأُمُّ ، تَبَعَتْ الْأَمَالَ
بَعْدَ مَا أَشْهَرَ الْقَنُوطُ التَّصَالَا

فَأَرَتْهَا وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّقَاءِ
قَبَسًا ، يَكْشِفُ الْأَسَى الْمُنْتَابَا

ثم قالت : عَلَيْكَ أُمَّ عَصَامِ
بِأَمْلَازِ الْأَخِيرِ ، سَاقِي الْحَمَامِ
مَرَّغِي الْوَجَةَ عِنْدَهُ بِالرَّغَامِ

وَأَذِيلِي مِنَ الْجُفُونِ سُيُولَا
وَانشِجِي ، وَأَمَائِي الْفَضَاءَ عَوِيلَا

وَأَشْرَحِي مَا لَقِيتِ مِنْ آلَامِ
وَأَفِضِي فِي سَرْدِهَا إِسْهَابَا

قالت الأمُّ للعجوزِ : أعيري
ولدي عَيْنَ حارسٍ ، وأنيري
دربَ آماليهِ بعطفٍ غزيرِ

ثم راحت تبغي مَلاكَ المنونِ
وهيَ ، بما عرَا أبناها ، في جُنونِ
فراأتُ في الطَّرِيقِ ، قُربَ الغديرِ
غادَةً ، ترتدي السَّوادَ إهابا

شَاهَدَتْهَا فَوْقَ الْهَضَابِ تَحُومُ
وَعَلَى حَالِكِ الرِّدَاءِ نَجُومُ
وَاصْطَفَاهَا صَبَاً ، كَعُوبٍ يَرُومُ

وُدَّهَا خَالِصاً ، وَلَيْسَ يَعْوجُ
عَنْ حِمَاها ، وَإِنْ غَزَتْهُ ثُلُوجُ

يَلْدَغُ الْجِسْمَ سَهْمُهَا الْمَسْمُومُ
وَتَرُجُّ الْأَوْصَالَ وَالْأَعْصَابَا

سألتها، والقرُّ يَفْرِى العظاماء؛
هل لعز ريل تعرفين مُقاماً؟
علَّ رُوحى به تبُلُّ الأواما

فينال ابني الحبيبُ الشِّفاء
ويُلفَّ ابنُ جَنبى السَّراء

وأراه على الأضالعِ ناما
بعد أنْ وُسِّدَ الأماني الرِّطابا

فأنبرت للكلام أخت الزنوج
وأكف الرياح فوق الصنوج
سألت أمه سؤال الجوج

أن تنني بأعذب الأتغام
كل ما أنشدته قبل الفطام

لعصام ، والبدر فوق المروج
يذرع الأفق جيئة ، وذهابا

ثُمَّ قَالَتْ : أَنَا الدُّجَى الْوُلْهَانُ
مِلْ وَجْهِي الْعُيُونُ ، وَالْآذَانُ
كَمْ شَجَا الْقَابَ دَمْعُكَ الْهَتَّانُ

وَسَمِعْتُ التَّشِيدَ ، قَلَوَ النِّشِيدِ
حِينَ غَرَّدَتْ لِلرَّضِيعِ الْوَحِيدِ

بِأُحُونِ ، مِنْهَا جَرَى التَّحْنَانُ
شَطَّرَ رُوحِي ، وَانْصَبَّ فِيهَا انْصِبَابَا

لم تَحْيَبْ لِلَّيْلِ سَلْمَى رَجَاءِ
فَمَضَتْ تَرْسِلُ الْفُؤَادَ غِنَاءِ
فَتَنَ الْأَرْضَ ، وَالْدُّجَى ، وَالسَّمَاءِ

وَقُلُوبُ الْوَرَى ، غَدَتْ آذَانَا
مُنْصِتَاتٍ ، تَلَقَّفُ الْأَخَانَا

فَتُعِيدُ الْأَضَالِعُ الْأَصْدَاءِ
مُنْعِمَاتٍ صَدَرَ الدُّنَى إِطْرَابَا

قال رُوحُ الدُّجَى مُنَاهُ ، فقالوا :
يَمِّمِي الْمُنْحَنَى ، تَرِي أَدْغَالَا
خَلْفَهَا وَرْدَةً تَشْكِي الظَّلَالَا

فاسالِهَا ، تُجِبْكَ أَيْنَ يُقِيمُ
حَاصِدُ الرُّوحِ ، فَالْأَسَى لَا يَرِيمُ

وَبَقَايَا الْأَمَالِ تَطْوِي الظَّلَالَا
عَنْكَ ، إِنَّ أُنْغَمَدَ الرَّدَى الْأَنْبَا

رَكِبَتْ أُمُّهُ جَنَاحِي نَعَامَةٍ
وَعَلَيْهَا مِنَ الرَّجَاءِ غَمَامَةٌ
وَلِزُهْرِ الْأَحْلَامِ قَامَتْ قِيَامُهُ

حَوْلَ أَجْفَانِهَا ، تَرَاقَصُ فَجْرًا
وَهِيَ تُلْقِي غُرَّةَ الْإِمَانِيِّ شِعْرًا

سَلَّمَ الْأُمُّ ، مُسْتَهَامًا زِمَامَةً
وَقَوَافِيهِ ، زَانَتِ الْآدَابَا

بَلَغَتْ مَلَكَةَ الشَّدَا فِي الصَّبَاحِ
حِينَ كَانَ الْحَادِي صَفِيرَ الرِّيحِ
وَأُلْمَنِي ، كَالضَّمَادِ فَوْقَ الْجِرَاحِ

فَرَأَتْهَا مَغْمُورَةً بِالتَّلُوجِ
وَعَلَى طَرْفِهَا طُيُوفُ الْمُرُوجِ

رَاقِصَاتٌ فِي حُلُمِهَا الصَّدَاحِ
لِرَبِيعٍ ، يُضْبِي الرِّبَا وَالشُّعَابَا

سألتهَا سلمى بصوتٍ رقيقٍ
ومُحِيًا ، في يَمٍّ شكٍّ غريقٍ
وفَمٍّ ، غصٍّ لوعةً بالريقِ :

إيه يا وردتي الأبيَّةِ قرلي
أئن ساقِي المُنُونِ ، حادي الأُفُولِ
أئن يَتَوِي تُرَى ، وأيَّ طريقِ
أسلُكُ الآنَ ، كدتُ أقضي انتحابا

فأجابت أميرة الزهر : إني
صك ، يا أم : لاذع البرد سني
لن أدل الرءوم ، إن لم تدعني
أورد الشوك قلبها ، ليدوبا
عن ضلوعي ثلج ، يمت القلوبا
فتعود الحياة ، من بعد ظن
عن عروقي ، وأستعيد الشبابا

حَضَنَتْهَا الْأُمُّ الْحَنُونُ بِلَهْفَةٍ
وَانْدَفَاعٍ ، قَدْ أوردَ النَّدَجَ حَتْفَهُ
وَمَضَى الشَّوْكَ ، رَشْفَةً ، بَعْدَ رَشْفَةٍ

يَرْتَوِي مِنْ دِمَاءٍ خَافِقٍ سَلَمَى
فَأَعَادَ الْحَيَاةَ أَنْضَرَ جِسْمَا

وَعَدَتْ بِالْبِرِّ أَعْمَ الْخَضِرِ طَرْفَةً
وَرَدَةً ، تَرْتَدِّي الْفُتُونِ ثِيَابَا

ثُمَّ رَاحَتْ مِنْ كَيْمِهَا تَتَرَاءَى
زَهْرَةٌ بِالْجَمَالِ تَاهَتْ بِهَاءِ
وَشَدَاهَا قَدْ ضَمَخَ الْأَرْجَاءِ

وَزَهَا فَوْقَ خَدَّهَا الْأَرْجَوَانِي
لَوْنُ ذَاكَ الدَّمِ الزَّكِيِّ الْقَانِي

وَالضَّحَى امْتَصَّ ثَغْرُهُ الْأَنْدَاءِ
فَانْتَشَى غِبْطَةً بِمَا قَدْ أَصَابَا

بُلِّغَتْ مِنْ دَمَاءِ سَلَمَى مُنَاهَا
 وَرَدَةُ الْمُتَحَنَّى ، فَرَدَّتْ صِبَاهَا
 وَازْدَهَاها مِنْ حُسْنِهَا ، مَا ازْدَهَاها
 وَرَنْتُ لِحَظَةً لِفَخْرِ الْأُمُومَةِ
 ثُمَّ قَالَتْ بِرَقَّةٌ ، وَنُعُومَةٌ :
 سَائِلِي الْبَحَرَ ، أَيْنَ عِزْرِيلُ تَاهَا
 تَجْدِي الْمَوْجَ لِلرَّءُومِ أَجَابَا

فَمَضَتْ كَالسَّحَابِ نَحْوَ الْخِصَمِ
تَتَخَطَّى شَمَّ الْهَضَابِ بِعَزْمٍ
لَيْسَ يَشْنِيهِ نَابُ صَخْرٍ أَصَمِّ

رَاحَ يُدْمِي بِجِدِّهِ الْقَدَمَيْنِ
دُونَ شَكْوَى مِنْ وَخْزَةٍ، أَوْ أَيْنِ

أَوْ كُلُومٍ ، تَسِيلُ مِنْ غَيْرِ كَلَمٍ
لِتَرْوِي جَنَادِلًا ، وَتُرَابًا

أَسْرَعَتْ فِي مَسِيرِهَا الْمِلْحَاحِ
بِجِرَاحٍ ، تَسِيلُ تِلْوَ جِرَاحِ
وَفُؤَادٍ مُرَوِّعٍ ، غَيْرِ صَاحِ

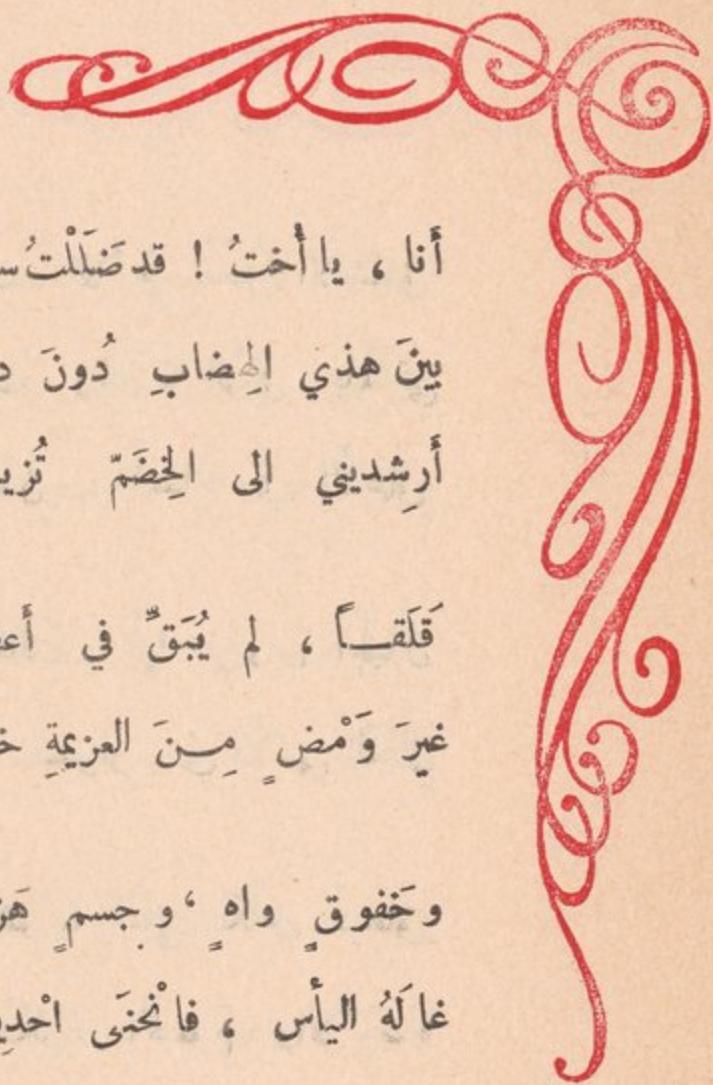
ثُمَّ أَلْفَتْ فِي دَرْبِهَا أَقْحُوَانَهُ
سَابَتْهَا أَوْرَاقُهَا الْفَتَّانَهُ

عَاصِفٌ ، مُسْتَهَامَةٌ بِأَضَاحِي
مِنْ أَزَاهِيرٍ ، أَرْهَقَتْهَا انْتِهَابَا

هَزَّتِ الْأُمُّ نَفْحَهُ الْأَشْفَاقِ
فَرَكَّتْ زَهْرَةَ الرَّبِّيِّ بِالْمَآقِي
وَجَنَانٍ ، أَسَاهُ فِي الْأَعْمَاقِ

ثُمَّ قَالَتْ : أَيَا عُرُوسَ الْجِبَالِ
نَحْنُ صِنَوَانٍ فِي الْأَسَى الْقَتَالِ

قَدْ شَرِبْنَا الْجُلَى بِكَأْسِ دِهَاقِ -
وَاحْتَكَرْنَا الْهُمُومَ وَالْأَوْصَابِ



أنا ، يا أختُ ! قد ضَلَلْتُ سبيلي
بين هذي الحُضابِ دُونَ دَليْلِ
أرشدني إلى الحِصَمِ تُزيلي

قلَقاً ، لم يُبَقِّ في أعصابي
غَيرَ وَمَضٍ مِنَ العَزيمةِ خابِ

وَحَفَوقِ واهٍ ، وجِسمٍ هَزيلِ
غالَهُ اليأسُ ، فأنحنى أحديداً

فَأَجَابَتْ حُلْمُ الْمَنَى الْإِقْوَانَةَ
وَنَدَى الْفَجْرِ مُوقِعَ الْحَانَةِ
صِرْتُ يَا أُمُّ الْأَسَى عُقْوَانَةَ

فَامْنَحِينِي أَسْنَانَ ثَغْرِ نَضِيدِ
أُجْنِ عَيْشًا بِهِنَّ جِدَّ وَغَيْدِ

وَأَرَانِي فَوْقَ الرَّبِّي سُلْطَانَةَ
ثُمَّ أَهْدِيكَ لِلْخِصَمِّ الدَّرَابَا

طَارَتْ الْأُمُّ تَنْتَحِي الدَّأْمَاءَ
 بِفَوَادٍ ، أَصَارَهَا دَرْدَاءَ
 يَحْمِلُ الْحُبَّ خَالِصًا ، وَالرَّجَاءَ
 وَأُمَانِي ، تُذْهِبُ الْآلَمَا
 وَحَنَانًا ، يُحْيِي الْأَفْهَامَا
 وَرِضًى ، يُنْبِتُ الْمُنَى وَالْهِنَاءَ
 وَهَيَامًا ، يَزِيدُهَا إِخْصَابَا

فَرَأَتْ ، وَهِيَ تَنْهَبُ الْأَرْضَ سُحْبًا
غَطَّتِ الْإِفْقَ ، شَرْقَهُ وَالْغَرْبَا
قَدْ حَدَّثَهَا رِيحٌ تَوَلَّوْلُ غَضْبَى

أَرْجَعَتْ لِلْقُطُوبِ أُمَّ عِصَامِ
وَعَزَّتْ نَفْسَهَا بِجَيْشٍ لُهامِ

مِنْ أَسَى ، دَكَّهَا شَقَاءٌ وَكَرْبَا
فَحَكَتْ أَوْجَهَ الْغُيُومِ اكْتِسابَا

شاهدت عند شاطئ البحر صخرة
مثل أجماد عزمها مُشْمَخَرَّة
رقيتها بطفرة ، بعد طفره

وأطلت على الخضم الأجاج
مُزِيد الشَّدَق ، نائر الأمواج

ثم أَلَقْتُ على الأواذي نَظْرَه
وأراقت دموعها تَسْكابا

أَبْصَرَ الْبَحْرُ دَمْعَهَا الْمَذْرَارَا
أَرَى حَيًّا كَمَوْجِهِ ، مَوَّارَا
يَسْرُدُ الْبُؤْسَ ، وَالْأَسَى الْغَدَّارَا

فَرَنِي قَلْبُهُ لَسْلَمِي ، وَأُضْحَى
سَاكِنًا ، وَانْبَرَى يُضَمِّدُ جُرْحَا

فِي جَنَانِ الْحَنُونِ ثَارَ ، وَجَارَا
لَا بَسًا أَحْمَرَ الضَّنَى جَلْبَابَا

قَالَ : يَا أُمُّ ! هَدَّيْتُ الرُّوعَ إِنِّي
هَاتِلِي أَنْ أَرَاكِ بُرْكَانَ حُزْنٍ
يَقْذِفُ الدَّمْعَ لَاهِبًا فَوْقَ جَفْنِي

فَأَمِيطِي عَنِ نَفْسِكَ الْأَرْزَاءَ
ثُمَّ بُوْحِي بِمَا دَهَاكَ وَسَاءَ

عَلَّيْ أُغْسِلُ الْأَسَى وَالتَّجَنِّي
مِنْ زَمَانٍ ، أَبْلَى الْأَنَامِ ضِرَابَا

فأجابته ، وَهِيَ تَنْشِجُ : قُلْ لِي
أَيْنَ سَاقِي الرَّدَى يُقِيمُ ، لَعَلِّي
أَفْتَدِي فَلَذَّةَ ابْنِ صَدْرِي وَأُجْلِي

عَنْهُ دَاءٌ ، أَعْيَا الْأَطِبَّاءَ طُرًّا
فَذَوَى عُودَهُ الصَّرِيءُ ، وَقَرًّا

فِي سَرِيرِ الْآلَامِ ، وَالذَّمْعُ يُمْلِي
قِصَّةَ الدَّاءِ يَقْصِمُ الْأَصْلَابَا

قال : سلمى ! يادُرَّة الأَكوانِ
أنتِ شمسٌ ، تُنيرُ قلبَ الزَّمانِ
أَسَرَّتْني في مُقلَّتَيْكِ مَعَانِ

ما حَوَى مِثْلُهَا كِتَابُ الأمومَةِ
مَنْذُ خَلَى لَنَا الزَّمانُ رُسومَهُ

فَهَبْنِي عَيْنَيْكِ ، يَجْنِ الأمانِ
خافِقِي ، قبلَ أنْ تنالِ الجوابا

قال هذا لها الحِضَمُ ، وَأَغْضَى
تَجَلَّأَ عَيْنَهُ ، وقد خافَ رَفْضًا
فَأَجَابَتْهُ مُقَاتِلَانِ ارْفَضَا

منهما الدَّمْعُ كَالْحَمِيمِ عُيُونَا
فَجَرَّ الْبَحْرَ لَوْنَةً ، وَشَجُونَا
ورأى الكَوْنُ ، بَعْدَ ذَلِكَ وَمَضَا
في مُحْيَا سَلَمَى ، أَنَارَ الْعُبَابَا

وَهُوتُ مِنْ بِنْتِ الْأَسَى الْعَيْنَانِ
كَشَهَا بَيْنِ مِنْ سَمَاءِ الْخَنَانِ
وَرَأَى بَعْدَ ذَلِكَ الثَّقَلَانِ

وَعُيُونُ التَّارِيخِ ، أَيَّ فُؤَادِ
حَمَاتِهِ سَلَمَى ، وَأَيَّ جِهَادِ

جَاهِدَتُهُ فِي سَاحِ حَرْبِ عَوَانِ
شَنَّهَا الدَّهْرُ فَاتِكَا ، وَثَابَا

يَا لَأُمٍّ قَدْ أَصْبَحَتْ عَمِيَاءَ
لَا تَرَى فِي سَوَى الْخِضَمِّ عِزَاءَ
حَمَلَتَهَا أُمُوجُهُ أَشْلَاءَ

وَرَمَتْهَا أُمَامَ كُوخٍ عَتِيقِ
مُوحِشٍ ، قَائِمٍ يَبَابٍ مَضِيقِ

حَرَسَتْ رَبَّهُ ، صَبَاحَ مَسَاءِ
بِنْتُ سَبْعِينَ ، شَعْرُهَا قَدْ شَابَا

سألتها العجوزُ : ماذا دهاكِ
أيها الأمُّ ! من أذى دُنْيَاكِ
أنتِ رَوَّعتِ قُبَّةَ الأَفلاكِ

بالأَسَى ، جاثمًا على الأَضلاعِ
والرَّزايا ، يَنْفُثُنْ سُمَّ الأَفَاعِي

دُونَ شَكْوَى ، تُلقِي بها شَفَتَاكِ
كَلِمًا أوردَ الزَّمانُ الحِرابا

فَرَوَتْ لِلْعُجُوزِ مَا قَدْ عَرَاهَا
فَبَرَىٰ عُودَهَا ، وَهَدَّ قُورَاهَا
ثُمَّ قَالَتْ بِلَهْفَةٍ شَفَتَاهَا :

أَيْنَ يَنْوِي سَاقِي الْمَنُونِ ، أَجِيبِي
حَسْبُ دَهْرِي مَا آدَهُ مِنْ نَحْيِي

ثُمَّ خَانَتْ بِنْتَ الضِّيِّ قَدَمَاهَا
فَهَوَتْ ، كَهَفَتَاهُ ! تَشْكُو الْقُلُوبَا

ذِعَرَتْ مِنْ إَغْمَائِهَا الشَّمْطَاءُ
فَبَكَتْ حَسْرَةً ، وَعَزَّ الْعَزَاءُ
ثُمَّ حَاكَتْ تِلْكَ الْعَجُوزَ السَّمَاءُ

بَنَشِيجٍ مُضْنٍ ، وَدَمَعٍ غَزِيرٍ
وَحَفُوقٍ ، كَوَاهُ كَفْحِ السَّعِيرِ

فَأَمَحَى الشَّجْوُ ، وَانْجَلَى الْإِغْمَاءُ
بَعْدَ مَا أُسْدِلَ الْخَنَانُ نِقَابًا

أنهضتها العجوزُ ، ثم أجابتُ
بدهاءٍ ، مهُ الجلامدُ ذابتُ ؛
هامتي من أذاةٍ دهري شابتُ

فأريني سحاءك الحاتميا
وهي الرأسَ شعرك الذهبيا

لأرى الحسنَ ، وألفاتن آبتُ
بعدما أورت الحنينَ التهاوبا

أَذْ عَنَّتْ لِلْعَجُوزِ أُمُّ الطَّبِيبِ
فَكَسَاهَا الْجَلَالُ تَاجَ الْمَشِيبِ
وَمَضَتْ شَمْسُهَا، بِسِحْرِ الْمَغِيبِ

تَفْتِنُ الْكَوْنَ ، وَالْخَلَائِقَ طَرًّا
فَقَدَّتْ لِلْبَهَاءِ ، وَالنُّبْلِ أَسْرَى

كَحَبِيبٍ ، مُتَمِّمٍ بِحَبِيبٍ
رَاحَ يُعْصِيهِ قَلْبُهُ الْوَجَابَا

عَلِمْتُ عِنْدَ ذَاكَ أُخْتُ الْأُضَاحِي
أَنَّ فِي الْكُوخِ قَانَصَ الْأَرْوَاحِ
فَأَتَيْتُهُ ، وَجَوْقَةُ الْأَفْرَاحِ

تَوَقَّعُ الْبِشْرَ ، وَابْتَلَى الْحَانَا
فَجَرَّتْ فِي سَاقِي الْحِمَامِ الْحَنَانَا

فَدَنَا ، وَهُوَ بِاسْمٍ كَالصَّبَاحِ
رَشَفَ الْطَّلَّ ، فَاسْتَطَابَ الرِّضَابَا

قال : أهلاً برَبَّةِ التَّضَحِيَّاتِ
وَسَذا النُّبُلِ في رِياضِ الحِياةِ
وَعِراهِ الأَمْجادِ ، وَالْمَكْرُمَاتِ
مَاعَسَى تَبْتَغِينَ ؟

قالت : أَغْنِيَنِي
أَوْشَكَ الدَّاءُ أَنْ يُطَوِّحَ بِابْنِي
فَأَزِحْ عَن جَانِي النِّكَبَاتِ
حَسْبُهُ مَا جَرَى لَهُ وَانْتَابَا

قَالَ عِزْرِيلُ : مَا تَرَكْتَ سَبِيلَا
 يُنْقِذُ الْآسِيَّ الْحَبِيبَ الْعَمِيلَا
 قَطُّ ، إِلَّا مَهْدَتَهُ تَذِيلَا
 وَرَكِبْتَ الْخُطُوبَ ، وَالْآلَامَا
 وَشَرِبْتَ الْآهَاتِ ، وَالْأَسْقَامَا
 وَاقْتَحَمْتَ الْجَلَى ، فَلَا مُسْتَحِيلَا
 عَادَ يَقْوَى ، فَيَسْتَشِيرُ الصَّعَابَا

أَبْشِرِي ! أَبْشِرِي ! سَيُشْفَى عَصَامُ
أَفْحَقًّا تَقُولُ ؟ !
وَلَّى السَّقَامُ

عن حمَاهُ ، وَقَرَّ فِيهِ السَّلَامُ
فَاسْتَخَفَّ الْأُمَّ الْحُنُونُ الْجَبُورُ
فَشَدَّتْ غِبْطَةً ، وَرَاحَتْ تَدُورُ
حَوْلَ حَادِي الْأَرْوَاحِ ، وَالْأَحْلَامُ
رَاوِدُتَهَا ، وَشَدَّتِ الْأَطْنَابُ

غمرَ الأمُّ بالُمْنَى عِزْرِيْلُ
فَاسْتَبَى قَلْبَهُ الصَّنِيعُ الْجَمِيلُ
وَاحْتَوَاهُ ظِلُّ الْهَنَاءِ الظَّلِيلِ

فِي ذِرَاعِيهِ ، فَاسْتُطِيرَ ابْتِهَاجَا
وَبَدَا نُورُ عَطْفِهِ وَهَاجَا

وَتَصَبَّى الْخِزَانُ ، وَهُوَ يَسِيلُ
مِنْ قَمَرِ الْأُمِّ ، قَلْبُهُ الْمَجْدَابَا

ضَمَدَ الْجُرْحَ فِي فؤَادِ الأُمِّ -
 وَنَضَاعَنهُ كُلَّ هَمٍّ ، وَغَمٍّ -
 فَعَدَا ، مِنْ هَنَائِهِ ، فِي يَمِّ -
 ثُمَّ أَفْضَى سَاقِي الرَّدَى بُرَادِهِ -
 رَاجِفًا كَالْعُقَابِ ، غِبَّ ابْتِرَادِهِ -
 وَخَيَّاهُ ، فِي الحَيَاءِ الْجَمِّ -
 غَارِقٌ ، وَاللَّسَانُ يَخْشَى الخَطَابَا

قال : لا بُدَّ أَنْ تَجُودِي ... وَأُحِبَّكُمْ
 عَنْ يَمَانِ الْمَرَادِ جَهْرًا ، وَتَعْتَمَ :
 إِفْتَدِيهِ بِالرُّوحِ ...
 ثُمَّ تَلَعْتُمْ

فَأَجَابَتْهُ : ذَاكَ غَايَةُ سُؤْلِي
 فَحُذِرُ الرُّوحِ ، وَامْنَحِ الْبُرءَ نَجْوِي
 وَأَتِيحْ لِي وَدَاعُهُ الْيَوْمَ بِالضَّمِّ
 قَبْلَهَا أَنْزِلُ الضَّرِيحَ قِرَابَا

حَمَلَ الْأُمُّ بِالْيَدَيْنِ ، وَطَارَا
وَأَتَى مِنْ وَحِيدٍ سَلَمَى الْمَزَارَا
فَانْتَحَاهَا عِصَامُهَا مُسْتَطَارَا

وَرَمَى نَفْسَهُ عَلَيْهَا ، فَضَمَّتْ
فِلَذَةَ الْكَبِيدِ ، ثُمَّ بَاسَتْ ، وَشَمَّتْ

وَأَشَعَتْ بِشَاشَةٍ لَا تُبَارَى
وَهَوَى نَجْمُهَا الْحَبِيبُ ، وَغَابَا

معجم الملحمة

رتبت الكلمات التي قد يصعب فهم معانيها على بعض القراء
حسب ترتيب ورودها في الملحمة .

- استهل الطفل : رفع صوته بالبكاء عند ولادته .
- حجابُ الماء : نفاخاته التي تعالوه .
- لاب : حام حول الماء دون أن يصل إليه .
- الكتاب : القرآن الكريم .
- العرينين : الأنف .
- الجلنار : زهر الرمان .
- سويداء القلب : حبيته .
- معبد : هو المغني العباسي المشهور .
- المارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد .
- العميد : الذي هداه العشق .
- تداعى : أقبل .
- الخود : المرأة الشابة .
- مكان السفينة : دفقتها .
- الشغاف : غشاء القلب .
- الحجى اللماح : العقل النير .
- الراح : الخمر .
- الرجاف : القلب

الدراري : الكواكب .

أصماه : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

المزهر : العود (آلة الطرب) .

وصاب : مفردها وصب ، وهو المريض .

التدبة : السريعة الى الفضائل .

وجيب القلب : خفوقه .

الأوام : الظماً .

الصنج : آلة طرب نحاسية .

الاضاحي : الضحايا .

الجلجل : الخطب العظيم .

كأس دهاق : طافحة .

كحبت النار : ' طفقت ' .

الدأماء : البحر .

الدرداء : التي فقدت أسنانها .

اللهم : الجيش العظيم .

أجاج : شديد الملوحة .

الموآر : المتموج المضطرب .

الرؤع : القلب .

الأصلاب : مفردها صالب ، وهو السلسلة الفقارية ،

الحميم : الماء الحار .

الثقلان : الإنس والجن .

الحرب العوان : هي التي قُوتل فيها مرة بعد

أخرى ، وهي أشد الحروب .
آده : أجهده .

القلاب : داء القلب .
طوّح به : حملّه على ركوب المهالك :



تصويبات مطبعية

الصفحة	الخطأ	الصواب
١٠	فتة	فتنة
١٣	سئنا	السئنا
٢٨	فلما	فهما
٢٩	الفنوس	النفوس
٣١	السهمري	السهمري
٤١	أريج ، ارتجال ، سماح	أريج ، وارتجال ، وسماح
٤٦	رقصا	رقصها
٤٧	فيبي	فيبي
٥٠	التي	العتي
٦٣	العريزة	الغريزة
٧٥	يتعني ، جب	يتغني ، جنب
٧٩	صبيب	صبيب
٩٠	عنده	عنده
٩٦	الجوج	الجوج
١٠٨	بلدت	بأغت
١٠٩	القدمين	القدمين
١٢١	الصري	الطري

[illegible]

العدنانى، محمد

العدنانيات

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01039676

العدنانى

الامعة : ج ٣ من العدنانيات

١١

892.71
A237aA
V.3

7